فى ذكرى ذلك اليوم المخزى ... ومن أجل ذكرى ذلك المناضل

كما يقال ، تولد الهزيمة يتيمة ، لهذا ليس من المستغرب أن تصبح هزيمة وتشتت جبهة التحرير الإرترية يتيمة حتى اليوم . كان إنهيار جبهة التحرير الإرترية بالنسبة لنا – خاصة من كنا نناضل ونضحى داخلها بكل قناعة وتفانى وإخلاص – أكبر مصيبة سياسية تواجهنا فى نضالنا السياسى . وقد خَبِرْنَا وأدركنا خلال تلك الفترة التى أظلمت فيها دُنْيَانَا أو عالمنا السياسى ، بأن الفشل واليأس الذى يمكن أن يواجه المرء فى حياته الخاصة والإجتماعية يعتبر نضالاً وتحدياً جسيماً لا يضاهيه حتى الهزيمة وفقدان البوصلة التى تواجه النضال المرير رغم كل آلامه ومعاناته . ومع أن ذلك لا يمكن إطلاقاً تشبيهه تاريخيا بنكبة وتشرد الفلسطينيين فى عام 1948م ، إلا أن الهزيمة الكبرى التى حلت ب " جبهة عباى " (جبهة التحرير الإرترية العظمى) التى كنا - لسذاجتنا السياسية - نؤمن بأنها عالمنا السياسى الوحيد ، كانت بمثابة كارثة سياسية بالنسبة لنا ، بل أن البعض منَا شعر أن يوم القيامة قد حلَ . لكن من حسن الحظ أن الشعب الإرترى وثورته كانا قد أمَنَا البديل والمنقذ الذى يصون تاريخ وإستمرارية الثورة الإرترية ، ولهذا لم يتحول حدث إنهيار جبهة التحرير الإرترية الى نكبة .

مضى على هذا الحدث ثلاثون عاماً ، وعامل الزمن يصدىء الذاكرة ، لهذا أصبحت ذكريات هذا الحدث تبهت مع مرور الزمن إلى درجة أنها كادت تصل الى مستوى الكسوف الكلى . إن مسألة نسيان التاريخ ومحو الذاكرة خاصة تجاه تلك الاحداث المتعلقة بالهزائم والفشل يترتب عليها عواقب وخيمة وخطيرة للغاية لا شفاء منها ، لذا تصبح

مسألة معرفة التاريخ وإستنباط العبر والدروس منه قضية محورية فى إطار السعى الى تأمين مستقبل آمن وأفضل .

صحيح أن غريزة الدفاع عن النفس ، سواء على المستوى الفردى أو الجماعى ، تجعل أمر تقبلنا وتذكرنا لهزيمتنا وأخطائنا وعوراتنا أمراً غير يسيراً . ولا إعتقد بأن هناك شعباً إختار أن يجعل من الهزيمة والتشرد محوراً لقصص وتاريخ هويته القومية ، اللهم بإستثناء الفلسطينيين الذين أصبح قدرهم التاريخى أن يجعلوا من الهزيمة والتشرد والخسارة محور هويتهم وتاريخهم القومى وكذا اليهود الذين لهم تاريخ مماثل للفلسطينيين حيث جعلوا من الهولوكوست (المحرقة) محور تاريخهم القومى . لذا نجد ان كل التاريخ البشرى ملىء بالتمجيد والإحتفاء والإحتفال العلنى بالإنتصارات والنجاح والفخر ، ونجد بالمقابل أنه يجرى التستر على الهزيمة والعار الذى يلحق بهذه الشعوب، بـل أن الأسوأ من ذلك أن البعض قد يعمد الى فبركة واختلاق تاريخ غير موجود ، أو يتم العمل على تبريرها (الهزيمة والعار) أو حتى تجاهلها بشكل متعمد أحياناً ، وبما أن هذا الواقع ينطبق علينا أيضاً فإنه لن يصعب تفهم محاولة النسيان التى نقوم بها - نحن الذين عايشنا وشهدنا وشاركنا - فى مسالة هزيمة وتشتت جبهة التحرير الإرترية .

لكن ما هو أسوأ من النسيان ، ما يجرى من محاولات لتبرير ذلك التاريخ وتحريف وقائعه . فخلال الثلاثون عاماً الفائتة ، وفى إطار التستر على إفلاسها السياسى ، دأبت العديد من التنظيمات - التى ظلت تتكاثر كالفطر تحت مُسَمَى جبهة التحرير وتدعى أنها الوريث وأشد المدافعين عنها وأنها الإستمرارية لتلك التجربة - على تدبيج العديد من المقالات السياسية الخيالية . ومع أن هذا موضوع آخر يحتاج الى سانحة أخرى لتناوله بإسهاب إلا أن موضوعى الرئيسى اليوم يتعلق

بحدث مخزى وقع قبل ثلاثون عاماً ، وبالتحديد فى عام (1982م) فى فيافى شرق السودان (راساى).

حقاً إن التاريخ يعيد نفسه ، تارة كتراجيديا وتارة أخرة كمسرحية هزلية ، والإنقلاب فى تاريخ جبهة التحرير الإرترية نفذ مرتين كتراجيديا وكمهزلة.

كان الأول يتمثل فى ذاك العمل الإرهابى الذى تم فى 19ديسمبر1969م فى منطقة "طهرا " حين عقد إجتماع القيادة العامة والذى يمكن وصفه بأنه عمل إنقلابى . وما حدث وقتها كان كما يلى : فى صباح 19 ديسمبر ، أى فى اليوم الأول لإجتماع القيادة العامة ، تمت محاصرة مكان الإجتماع بفصيلة من وحدة قوات الأمن ، وصدرت الأوامر الى جميع أعضاء القيادة العامة بتسليم أسلحتهم ورفع أيديهم الى الأعلى . وقام رئيس القيادة العامة محمد أحمد عبده بإنزال سلاحه وطلب من بقية أعضاء القيادة أن يحذو حذوه وينصاعوا لل"الأوامر" وفاءاً للعهد ، وبالفعل قام كل أعضاء القيادة بتنفيذ ذلك ، وقد أعقب ذلك إعتقال خمسة من أعضاء القيادة العامة ، وكانوا جميعهم من مقاتلى المنطقة الرابعة ، وقد أقتيدوا من داخل الإجتماع . بعد إتخاذ هذه الخطوة قام رئيس القيادة العامة بتوضيح أسباب الإعتقال وطلب من الإجتماع " المصادقة " على قرار إعتقالهم .

عقب هذا الحدث هيمنت القوى المتعطشة للسلطة على القيادة العامة ونشرت أجواء الرعب والتصفية السياسية ، ونتيجة لذلك يمكن إعتبار هذا الحدث منشأ ومنطلق هذه العقلية الإرهابية الإنقلابية .

كان المخططون الرئيسيون لهذا الحدث ثلاثة أشخاص : محمد أحمد عبده (رئيس القيادة العامة) ، عبدالله إدريس (المسؤول العسكرى) ، صالح حيوتى (مسؤول جهاز الأمن) الذين شكلوا تحالفاً جديداً هيمن على مقاليد الأمور فى جبهة التحرير الإرترية ، لم يكن أحد ليذكر هذا

الحدث ، الذى لم يكن ليتجاوز أن يحتل مكان هامش معلوماتى فى سجل تاريخ الثورة الارترية ، لولا إنه شكل منطلقاً لنتائج خطيرة ومدمرة وترتبت عليه نتائج أكثر خطورة ، فقد أفضى هذا الحدث الى تفشى وإستمرار عقلية المؤامرات والإنقسام فى نهج ومسار الجبهة ، والذى افضى بدوره الى المزيد من الإنقسام الذى قاد الى الحرب الأهلية . لهذا يعتبر إنقلاب عام 1969م أحد أهم تراجيديات الثورة الإرترية .

إما الإنقلاب الثانى ، ورغم تشابهه مع الإنقلاب الأول من ناحية شخصيات مهندسيه وطريقة تنفيذه ، فإن النتائج التى أعقبت تراجيديا هذا الإنقلاب الثانى (انهيار الجبهة) كانت مسخرة ومهزلة حقيقية .

فقد ساد التوتر لمدة تزيد على الإسبوعين على منطقة "راساى" فى فيافى شرق السودان حيث كان عبدالله إدرس قد أقام "معسكراً " لمجموعته. وكانت القيادة قبل ذلك قد إضطرت تحت ضغط وإلحاح قواعد مقاتلى الجبهة المرابطين فى منطقة تهداى – كركون الى الدعوة لعقد سمنار تنظيمى وقد وصل ذاك السمنار الى طريق مسدود بخصوص قضية التسليح . وحينها كانت قد مضت عدة أسابيع فى منطقة راساى على المئات من المقاتلين القادمين من معسكرات تهداى وكركون ومن أعضاء جبهة التحرير الإرترية القادمين من دول المهجر ، ولم يكن الوضع يسمح بإستمرار ذاك التوتر الى فترة أطول من ذلك .

فى حوالى الساعة السادسة من مساء 25 مارس 1982م سمع صوت إطلاق نار فى معسكر راساى ، وكان الهدف الأول لتلك الطلقات الشهيد ملاكى تخلى حيث قتل بدم بارد . كما أصيب مقاتل آخر يدعى صالح كان يدردش مع ملاكى تخلى فى تلك اللحظات فى ذاك الوادى الصغير ، كما قتل عرضاً سائق سعيد صالح ويدعى فسهايية لأنه تصادف أنه كان موجوداً فى المحيط .. إطلاق النار الذى إستمر لعدة

دقائق بث القلق فى منطقة راساى لبعض الوقت ، يبدو أن إطلاق النار كان بهدف بث الرعب ، أو ربما لأخفاء خوف فى الدواخل ، حيث أنه لم يكن هناك من قام بالرد على من كانوا يطلقون الرصاص . فمعظم الذين قاموا بالإنتفاضة كانوا يتكونون من مجموعة قليلة تحمل السلاح وغالبية كبيرة من المقاتلين المجردين من السلاح .

بعد توقف إطلاق النار تم إقتياد وتجميع جميع المقاتلين المجردين من السلاح فى الساحة الصغيرة التى كانت تتوسط مخيمات المعسكر ، وتم إقتياد ستة مقاتلين من هؤلاء الى المعتقل ، وتم إضافة آخرين اليهم فى اليوم التالى ، وفى تلك اللحظات تم إعتقال مجموعة من أعضاء القيادة ، من بينهم أحمد ناصر .

فى صبيحة اليوم التالى عقد عبدالله إدريس إجتماعاً لكل الحاضرين بصفته الرئيس الجديد ، وقيل وقتها أن الخطوات التى إتخذت هى إنتفاضة تمت بمبادرة من جيش التحرير لإنقاذ التنظيم ... وهكذا تم بهذا الإسلوب الهزلى إسدال الستار على تراجيديا إنهيار الجبهة.

بعد انقلاب 25 مارس زادت وتيرة تشتت وتمزق جبهة التحرير ، وأصبح مصير مجموعة عبدالله ادريس الانقلابية التنقل من فضيحة وخزى الى اخرى أسوأ حتى انتهى بها المطاف الى الخيانة الوطنية الكبرى، حيث تحولت فى عام 1986م الى اداة طيعة فى يد النظام الدرقوى الاستعمارى، ووصل بذلك الى الخاتمة الطبيعية التى يصلها كل صاحب مصلحة سياسية ضيقة ، وهو أمر ظل يطل برأسه طوال مسيرة النضال الوطنى الارترى، أى امر مسيرة التآمر والانشقاق ثم الخيانة الوطنية فى خاتمة المطاف.

فى هذه الآونة قلة من الناس هى التى يمكن أن تتذكر إنقلاب راساى ، وقلة من الناس أيضاً هى التى يمكن أن تتذكر مقاتل يدعى ملاكى تخلى ، ومع هذا يظل ملاكى تخلى أكثر شموخاً وعظمة من ذلك

الإنقلاب ومهندسيه ، وينبغى أن يسجل فى قائمة الإبطال المجهولين للثورة الإرترية . وأود بهذا المناسبة أن الفت الإنتباه إلى أنه فى إعتقادى ينبغى فى مثل هذه المناسبات تخليد ذكرى المناضل المقاتل ملاكى الذى لم يجد التخليد والتكريم الذى يليق به وبدوره ، وكذا المناضلين الاخرين المجهولين مثله من أمثال ،الشهيد عبدالقادر رمضان والدكتور يحيى جابر ، وأبراهام تخلى وكثيرون غيرهم ، وما أدعو اليه من تخليد ليس من النمط التقليدى وإنما من النوع الذى يحملنا مسؤولية الأمانة التى سقطوا من أجلها ، فهل نحن جديرون بتحمل هذه المسؤولية ؟

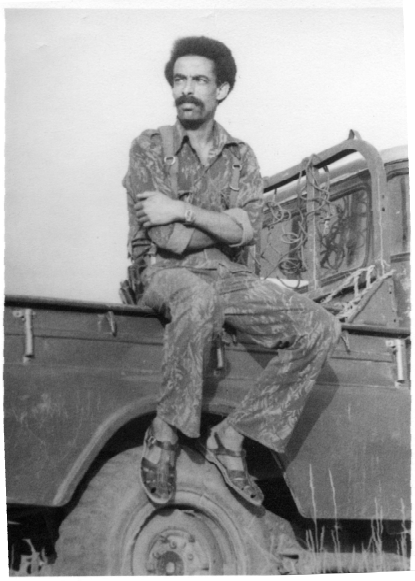

ملاكى تخلى (1949 -1982م)

التحق بجبهة التحرير الرترية فى عام 1971م،وانتخب فى المؤتمر التنظيمى الثانى (1975م)عضواً باللجنة التنفيذية

صاحب ذاكرة قوية